الدرس الأول: مدخل إلى علم الدلالة (اصطلاحا وتاريخا)

1/ اصطلاحا:

قبل الحديث عن مفهوم علم الدلالة يجب الوقوف على مصطلح الدلالة أولا، وذلك من حيث اللغة والاصطلاح.

أ/ الدلالة لغة:

ورد في المقاييس لابن فارس: الدال واللام أصلان صحيحان، أحدهما إبانة الشيء بأمارة، والأخر اضطراب في الشيء.

أما في أساس البلاغة للزمخشري فدلّه على الطريق، وهو دليل المفازة، وهم أدلاّؤها، وأدللت الطريق: اِهتديت إليه.

وفي لسان العرب لابن منظور: دلّه على الشيء يدلّه ذلّا ودلالة فاندلّ: سدّده إليه، والدليل ما يُستدلّ به. والدليل: الدالّ. وقد دلّه على الطريق يدلّه دَلالةً ودِلالةً ودُلولةً. والفتح أعلى؛ أي أفصح. ومثل ذلك ورد في مختار الصحاح للرازي.

أما في المعجم الوسيط فنجد: دلّه عليه وإليه دلالة: أرشده.

لقد ورد لفظ (دل) في القرآن الكريم في أكثر من موضع، وكانت كلها بالمعنى المعجمي؛ أي: الهداية والإرشاد. من ذلك قوله تعالى:

﴿ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ﴾ الأعراف/22. وقوله:

﴿ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ ﴾ القصص/12.

﴿ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴾ الفرقان/45.

2/ اصطلاحا:

عرفها الراغب الأصبهاني بقوله: " الدلالة ما يُتوصّل به إلى معرفة الشيء كدلالة الألفاظ على المعنى، ودلالة الإشارات والرموز" (المفردات في غريب القرآن)

وعرّفها الجرجاني(الشريف) بقوله: "كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر. والشيء الأول هو الدال. والثاني هو المدلول". وأضاف: " الدلالة اللفظية هي كون اللفظ متى أُطلق أو تُخيّل فُهم منه معناه للعلم بوضعه" (التعريفات)

علم الدلالة: la sémantique هو العلم الذي يهتم بدراسة معاني الألفاظ دراسة وصفية موضوعية (ينظر: اللسانيات النشأة والتطوّر لأحمد مومن). أو بصيغة أخرى هو العلم الذي يهتم بدراسة المعنى.

تاريخ علم الدلالة:

1/ الدلالة عند القدماء: إن البحث في المعنى أو الدلالة من أقدم الاهتمامات الفكرية للإنسان. وما هذه المكانة التي تبوّأها علم الدلالة في العصر الحديث إلا ثمرة تفكير موغل في القدم في قضايا المعنى سواء عند اليونانيين أم عند الهنود، أم عند العرب، أم عند غيرهم.

أ/ الدلالة عند اليونان:
لقد كانت قضية الدلالة مرتبطة عند اليونان بعدد من التساؤلات الفلسفية؛ من بينها ما طبيعة العلاقة بين اللفظ (الدال) والمعنى (المدلول)؟ هل هي طبيعية أم مجرّد تواضع وعرف إنساني؟ فذهب أفلاطون متبعا معلمه سقراط إلى أنها طبيعية (محاكاة أصوات الطبيعة) مضيفا أن تلك العلاقة الطبيعية (كمُواء القط، وعواء الذئب، وخرير المياه، وصفير الرياح...) كانت واضحة سهلة التفسير في نشأتها الأولى، ثم تطورت الألفاظ فلم يعد من السهل أن نتبيّن تلك الصلة بين اللفظ ومعناه. أما أرسطو فرأى أن العلاقة بين الدال والمدلول اصطلاحية عرفية. مميزا بين ثلاثة أشياء:
_ الأشياء في العالم الخارجي
_ التصورات أو المعاني
_ الأصوات أو الرموز، أو الكلمات
وإذا جئنا إلى تقسيم أرسطو للكلام فسنجده قائما على أساس دلالي؛ فالاسم والفعل لهما في نفسيهما معنى خلافا للحرف؛ إذ لا دلالة له إلا إذا ارتبط بغيره من اسم أو فعل.
من أهم القضايا الدلالية التي جذبت اهتمام اليونانيين التغير الدلالي. وقد ربطوه بالتغير الحضاري.
ب/الدلالة عند الهنود: لم يكن الهنود أقل شأنا من اليونان من حيث الاهتمام بالدلالة، ومن الموضوعات التي ناقشوها:
ـ علاقة اللفظ بالمعنى؛ أي: الدال بالمدلول.
ـ أنواع الدلالات، وجعلوها أربعة أقسام:
قسم يدلّ على مدلول عام(شامل) مثل: انسان.
قسم يدل على كيفية مثل: طويل.
قسم يدل على حدث مثل: جاء.
قسم يدل على ذات مثل: محمد.
كما تحدّثوا عن دور المجاز في تغير المعنى.
2/ نشأة علم الدلالة: إن أول من استعمل مصطلح علم الدلالة هو اللغوي الفرنسي ميشال بريال سنة 1983. وهو صاحب أول دراسة علمية حديثة خاصة بالمعنى وذلك في مقال له بعنوان: محاولة في علم الدلالة essai en sémantique سنة1897. وإن كان قد استعمل المصطلح أول مرة سنة1883. قال بريال: " إن الدراسة التي ندعو إليها القارئ هي دراسة حديثة للغاية بحيث لم تُسمّ بعد. نعم لقد اهتمّ معظم اللسانيين بشكل الكلمات. وما انتبهوا قط إلى القوانين التي تنظم تغير المعاني، وانتقاء العبارات الجديدة، والوقوف على تاريخ ميلادها ووفاتها. وبما أن هذه الدراسة تستحق اسما خاصا بها فإننا نطلق عليها اسم علم الدلالة" (علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي لمنقور عبد الجليل).
إذن لقد كان علم الدلالة عند ميشال بريال العلم الذي يهتم بدراسة التغير الدلالي. لكنه ما لبث أن توسّع ليصير العلم الذي يدرس المعنى من جميع جوانبه، وصارت له نظرياته الخاصة.
نلاحظ أن ظهور علم الدلالة كان متأخرا مقارنة بباقي العلوم اللغوية من علم أصوات، وصرف، وتركيب، بلاغة. هذا في أوروبا. أما في أمريكا فلم تلقى دراسة الدلالة الاهتمام إلا في النصف

الثاني من القرن العشرين. وذلك لصعوبة دراستها. قال بلومفيلد (لغوي أمريكي): " إن المعنى أصعب نقطة في دراسة المعنى"
لقد أثار ميشال بريال قضية مهمة؛ هي الدراسة العلمية للمعنى، ففتح مجال البحث أمام غيره من اللغويين، وحتى غير اللغويين؛ إذ ساهم علماء مختلفو التوجهات المعرفية في إرساء صرح العلم. منهم علماء فيزياء، وعلماء رياضيات، وقانون...وما ذلك إلا دليل على أهمية المعنى، وعلى أنه ملتقى مختلف العلوم. ولم يبق الدرس الدلالي ملحقا بغيره من العلوم، بل صار علما قائما بذاته له أسسه، ونظرياته الخاصة.